الطبري فقيهاً ومجتهداً وإماماً

في مقومات التفكير عند الطبري

الطبري موسوعة علمية:

أقبل الإمام الطبري على طلب العلم، وبذل فيه جميع أوقاته، ووهب له حياته، وتفرغ في جمعه، وعكف على التصنيف والتأليف، وجمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره.

لذلك كان الطبري رحمه الله تعالى إماماً في السنة وعلوم الحديث، وعدَّه النووي، رحمه الله تعالى، من طبقة الترمذي والنسائي، وأنه سمع الحديث من كثيرين، بعضهم من شيوخ البخاري ومسلم، وحدَّث عنه خلائق من الناس[1]، وصنف في ذلك الكتب النافعة المفيدة.

وكان الطبري إماماً في القراءات وعلوم القرآن، نقل عن أبي بكر بن مجاهد إمام الناس في القراءات أنه استمع ليلة لقراءة محمد بن جرير، فقال: «ما ظننت أن الله تعالى خلق بشراً يحسن أن يقرأ هذه القراءة»[2]، وصنف تفسير القرآن الكريم «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» الذي ضمَّ فيه علوم القرآن المختلفة حتى اعتبر إمام المفسرين أو شيخ المفسرين،

---

(١) تهذيب الأسماء ١/ ٧٨.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ١٢٤، تهذيب الأسماء ١/ ٧٩، تاريخ بغداد ٢/ ١٦٤.

وقال فيه الشيخ أبو حامد الإسفراييني: «لو سافر رجل إلى الصين ليحصل على تفسير ابن جرير الطبري لم يكن هذا كثيراً»[1].

وكان الطبري إماماً في الفقه، وعلم الخلاف، والفقه المقارن، واختلاف العلماء، ومن الأئمة المجتهدين، وصاحب مذهب مستقل، وتبعه بعض الناس على مذهبه، كما سنفصل ذلك، إن شاء الله تعالى.

ويعتبر الطبري رحمه الله إماماً في التاريخ، وهو شيخ المؤرخين، وصنف كتابه العظيم، «تاريخ الأمم والملوك» وكتاب «تاريخ الرجال من الصحابة والتابعين إلى شيوخه» وغيرهما، وهذا الجانب سيفرد في محور مستقل.

وكان الطبري حافظاً لكتاب الله تعالى، مبرزاً في المعاني وعلوم العربية، عالماً بالفلسفة والمنطق والجدل، وكان عنده شيء من علم الطب والجبر وعلوم الرياضيات، وكان فصيح اللسان وله نظم وشعر.

وباختصار فإن كتبه تدل على غزارة علمه، وسعة ثقافته، ودقته في التصنيف والتأليف، وإحاطته بالعلوم، وتأثيره على الفكر الإسلامي، والتراث الحضاري، وأنه كان موسوعة علمية، يغترف منها العلماء في مختلف العلوم والفنون، روي عنه أنه مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم أربعين ورقة، فصنف التصانيف الكبار[2].

الطبري دائرة معارف:

وكان الطبري رحمه الله تعالى دائرة معارف، ويشهد له بذلك ما وصفه به الأئمة والعلماء والمؤرخون، ويكفي أن نقتبس بعض أقوالهم:

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ١٦٢، البداية والنهاية ١١/ ١٤٦، تهذيب الأسماء ١/ ٧٩.
(٢) البداية والنهاية ١١/ ١٤٥، إنباه الرواة ٣/ ٨٩.